معالم المنهج الإسلامي

تأليف: **محمد عمارة**

الناشر: **الأزهر الشريف، اللجنة العليا للدعوة الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي**

(هيرندن، فيرجينا، 1412هـ/ 1991م)، 290 صفحة.

مراجعة: **عماد الدين شاهين***

القضايا التي يعالجها الكتاب

يسعى الكتاب إلى تقديم تصور أولي حول معالم المنهج الإسلامي في كل جوانبه وجميع أبعاده المعرفية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. وينطلق الكتاب من الإحساس المكثف بوجود أزمة حادة يعاني منها الفكر الإسلامي وتجعله عاجزا عن القيام بدوره الحضاري والريادي المطلوب. ويوضح أن الإحساس بهذه الأزمة ليس وليد الساعة وإنما له جذوره التاريخية، حيث قامت العديد من الحركات الإصلاحية والتجديدية وكذلك المفكرين والمجتهدين الأفذاذ بمحاولات متتالية للخلاص من علل الأزمة وتباعاتها.

ويؤكد الكتاب على ضرورة ووجوب قيام مفكري الأمة المعاصرين بصياغة النموذج المعرفي والحضاري الإسلامي بديلاً للنموذج المعرفي والحضاري الغربي الوافد والمهيمن على القطاع الأكبر المؤثر من واقعنا وفكرنا من جهة، ولعقلية التقليد والسكون والتخلف التي تشل قدرات الأمة وتفقدها القدرة على الإبداع والنهوض من جهة أخرى. حيث أن بلورة نظام الإسلام ومنهجيته بديلاً حضارياً ووضوح معالمه دليلاً عمليا هما السبيل إلى تحقيق وحدة الأمة الفكرية وتجنيبها إخفاق وأزمات جديدة.

---

* دكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة جونز هوبكنز بولاية ميريلاند الأمريكية، 1990. محاضر في دراسات الشرق الأوسط بجامعة جورج واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

كما يوضح الكتاب أن المنهج المطروح لا يمثل المنهج البديل أو الذي يغني عن المناهج الجزئية والمتخصصة في علوم الإسلام وحضارته، وإنما هو منهج الفكر الإسلامي الكافل (إسلامية الحياة)، والذي لا غنى عنه في صياغة مناهج هذه العلوم وبلورتها. إلا أن هذا المنهج يتمتع بصفة التميز، حيث يمنح الإنسان المسلم المكونات التي تميزه عن غيره: عقيدة توحيدية متميزة، وشريعة إلهية خاصة، أثمرتا حضارة متميزة هي حضارة الإسلام.

ويركز الكتاب لأسباب عديدة في خلافة الخلفية الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوصفها حقبة تاريخية وبيئة يستخلص منها المعالم التطبيقية هذا المنهج.

ويشرح الكتاب المحاور الأساسية للمنهج الإسلامي ومميزاته بأنه منهج (الهي المصدر إنساني الموضوع، يحكم شؤون مجتمع إنساني مخلوق... لخالق واحد.. يحيا في عالم مخلوق لذات الخالق الواحد.. وينهض برسالة الخلافة عن ربه في عمران عالمه، وفق بنود عقد وعهد استخلاف، استعدادا للقاء ربه يوم المعاد والحساب الجزاء..). ولهذا فان التصور الإسلامي يتميز عن كل المناهج والشرائع والديانات والفلسفات غير الإسلامية بمركزية التوحيد للذات الإلهية التي تمثل ثورة عقدية تحريرية تفك الإنسان –بكل طاقاته– من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى وتحقق انتماء الإنسان لله وتحدد علاقته بالكون.

ويتناول الكتاب بالتفصيل والشمول معالم المنهج الإسلامي في الجوانب الأخرى، حيث يشرح مفهوم الوسطية الجامعة التي تمثل حجر الزاوية بالنسبة للمنهج وأثرها على العقل المسلم في رؤيته للقضايا المعرفية وجوانب الحياة كلها. فان هذه الوسطية تحفظ الإنسان المسلم من التمزق والإنشطارية وثنائية المتقابلات المتناقضة، على النحو الذي حدث في حضارات أخرى، وخاصة الحضارة الغربية. فقد مكنت الوسطية الجامعة الفكرية الإسلامية –عندما التزمت بها – من تجنب الإحساس بالتناقض بين الروح والجسد، والدنيا والآخرة، والدين والدولة، والذات والموضوع، والفرد والمجموع، والفكر والواقع، والمادية والمثالية، المقاصد و الوسائل، والثابت والمتغير، والقديم والجديد، والعقل والنقل، والحق والقوة، والاجتهاد والتقليد، والدين والعلم، وغيرها من الثنائيات. ويبين الكتاب أنه عندما يقع عدم الالتزام بهذه الوسطية الجامعة، فانه يقع الانقسام الحاد والتمزق في المنظور والمنهجية المعرفية.

ويتناول الكتاب معالم المنهج الإسلامي فيما يتعلق بالتربية الجمالية لدى المسلم: آيات الجمال في الإبداع الإلهي، وجمال السماع، وجمال الصوّر. ويبيّن أن الإسلام لا يخاصم الجمال ولا يعادي فنونه الجملة التي ترتقي بالذوق والحس الإنساني ليدرك آيات الله. وأن موقف المنهج الإسلامي هو موقف الود والتعاطف والتزكية المباركة لها. وينبه إلى المعايير الإسلامية –الاعتقادية والخلقية– التي تحكم موقف المسلم تجاه الفنون لكي تظل مصدراً حقيقاً للخير والجمال في حياة الإنسان، كالاقتصاد والاعتدال، التحلي والتجمل بخلقيات الإسلام، التخلق بالموروث الحضاري للإسلام، الوعي بالجمال الإلهي.

ويبحث الكتاب في وسائل تطبيق المنهج الإسلامي الذي لا يقف عند دود (النسق الفكري– النظري) المجرد، وإنما يكتمل عندما يتحول إلى حياة معايشة وبناء قائم، وحضارة متميزة في الممارسة والتطبيق.

ويرى أن الوسيلة لتطبيق وتجسيد المنهج الإسلامي، تأتي عن طريق الجهاد في معناه الشامل والعام، من حيث بذل الوسع والطاقة من قول أو فعل في مختلف الميادين التي ينتصر فيها وبها الدين الحق. ويرى الكتاب أن الجهاد، شأنه شأن معالم المنهج الإسلامي، فريضة، وعلى طلائع الأمة أن تستفرغ الجهد وتبذل الوسع في استخلاص معالم هذا المنهج بالاجتهاد الفكري، وتجاهد جهاداً يضع معالم هذا المنهج في الممارسة والتطبيق.

منهج الكتاب

تميز الكتاب بتعدد المناهج المستخدمة وتكاملها لشرح أفكاره الرئيسية وإثباتها، حيث يجمع بين المنهج التحليلي والتاريخي والاستقرائي، في تلمسه لجذور الأزمة الفكرية وتدليله على وجوب العمل على الخروج منها وتحديده لمعالم المنهج الإسلامي نحو القضايا المختلفة. كما استعان بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية لربط معالم هذا المنهج المقترح بالتصور المعرفي الإسلامي والخبرة التاريخية، مما منحه الأسس الشرعية والحضارية. كما ساعدت المناهج المستخدمة في الكتاب على ترابط وتناسق دعائمه الأساسية على الرغم من تنوع الموضوعات التي أثارها، مما جعله يشكل وحدة عضوية متسقة ومتناسقة.

مصادر الكتاب

اعتمد الكتاب في مصادره على القرآن الكريم وكتب السنة النبوية، معاجمهما وشروحهما لعرض الأفكار داخل المنهجية القرآنية والهدى النبوي. كما استعان بمعاجم اللغة لتحيد المفاهيم والمصطلحات المستخدمة ولوضعها داخل إطار الاستخدام الإسلامي لها، إضافة إلى أمهات كتب التراث والفقه، دون الانغماس في المجادلات الكلامية أو الفلسفية، وإنما بتناول بعض آرائها ونصوصها بأسلوب سهل ومقنع.